التقديمُ والتأخيرُ في ترتيب الأشياء في القرآن الكريم
دراسة دلالية جمالية

Putting first and Putting last the Expressions in Qur'an : A Semantic and Aesthetic Study

د.تومان غازي حسين
الكلية الإسلامية الجامعة/ النجف الأشرف

د. خالد كاظم حميدي
كلية الشيخ الطوسي الجامعة/النجف الأشرف

By : Dr. Tuman Ghazi Hussein /Islamic University College / Najaf, and
Dr. Khalid Kazim Hamidi/ Sheikh Tusi University College/ Najaf

ملخص البحث

بحث تناول بمبحثين فضلا عن المقدمة والخاتمة ظاهرة التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء حسب سياقها ومدلولها وأهدافها في القران الكريم كاشفا عن ان الكثير من علمائنا القدامى قد بذلوا جهوداً عظيمة، في استقراء هذه الظاهرة اللغوية المهمة ورصد أنواعها ووجوهها واستنباط أغراضها وأسرارها سعيا إلى معرفة حقيقة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم من خلال أسلوبية الاختيار النحوي والدلالي. وتطرق البحث بسرد معزز بالشواهد الى انواع التقديم والتأخير ودلالة كل نوع وأثره في سياق الجملة من الناحيتين اللغوية والبلاغية سواء من ناحية التراث او من وجهة نظر حداثوية .وخلص الى نتيجة مهمة وهي أن الترتيب الجديد من خلال التقديم والتاخير في القرآن الكريم يؤلف نسقا تعبيريا مميزا، يمكن أن نعدّه انزياحا عن الأصل المحاكى الذي ترسمه اللغة بألفاظها ومعانيها، مما يثير التنبّه والتساؤل في ذهن القارئ، لماذا رتبت الأشياء بهذا النسق الذي خالف خبرتنا المنطقية؟ والتقديم والتأخير لاياتي عبثا بل لأغراض بلاغية بحتة للفت انتباه المتلقي لهدف معين لايتحقق دون ذلك ولو بقي السياق على حاله لما حدث الانتباه الى المقصد المرجو ؟!.

Abstract

The research discusses the phenomenon of putting first and putting last the expressions in the arrangement of things in Qur'an according to their context , meanings and purposes. This is done in two sections as well as the introduction and conclusion. The study reveals that many ancient scholars exerted great efforts in extrapolating this linguistic phenomenon , its types and aspects ,and detecting its purposes and secrets in an effort to reveal the truth about the rhetorical inimitability of the Qur'an through the manner of grammatical and semantic choice. The study arrives at a significant result which is the new arrangement through the manner of putting last in the Holy Quran gives it a unique expressive composition ,which can be regarded as a movement away from the emulated original which the language makes through the use of words and meanings. This raises the following question in the reader's mind, why are the things arranged in this manner that contradicts our logical experience? In addition, the phenomenon of putting first and putting last does not occur in vain but rather it has a purely rhetorical purpose which is to attract the recipient's attention for a specific purpose which cannot be achieved without such an arrangement .

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، نستغفره ونستعينه ونستهديه ونصلّي ونسلّم على نبيّه الأمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأتباعه الغرّ الميامين، وحملة الرسالة من بعده، والداعين إلى سبيله وهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن التقديم والتأخير يعدّ من الموضوعات اللغوية البلاغية المهمة، فهو تقنية انمازت بها النصوص الإبداعية الراقية ذات الاستعمال الخاص للغة، وأعلاها رتبة القرآن الكريم.

وقد بذلَ علماؤنا القدماء من نحاة وبلاغيين ومفسرين جهوداً عظيمة، إذ استقرؤوا هذه الظاهرة ورصدوا أنواعها ووجوهها واستنبطوا أغراضها وأسرارها سعيا إلى معرفة حقيقة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم من خلال أسلوبية الاختيار النحوي والدلالي.

ولكن هذه العناية انحصرت - في الأعم الأغلب- على التقديم والتأخير بجانبه الإسنادي أكثر من غيره، لوضوح القاعدة النحوية التي يبيّن العدول عنها أسلوبية هذه الظاهرة، وهي تفيد في تحليله أيضا، وقد وفّرها النحو بمباحثه الناضجة منذ سيبويه(ت١٨٠هـ). وبقي التقديم والتأخير الدلالي:(ترتيب الأشياء)، إذ لم نجد لها مصطلحات محددة ولا قاعدة تفيد في تحليلها ، ما عدا بعض الإشارات التي رصدها علماء التفسير عندما عنت لهم شواهد تتعلق بهذا النوع من التقديم والتأخير، فحاولوا تفسيرها بالاعتماد على السياق بنوعيه:(اللغوي، والمقامي) فحسب، ولم يضعوا لنا قاعدة منهجية تفيد في تحليله تحليلا علميا وافيا.

ويعد الزركشي (ت٧٩٤هـ) أول من نظّر له، إذ عدّه تقسيماً للتقديم والتأخير الإسنادي أو اللفظي، وكان ينظر إليه نظرة منطقية تحاكي الواقع بنوعيه البسيط والمعقد(محاكاة الجوهر)، وقد تابعه السيوطي (ت٩١١هـ) بمباحث اختلطت فيها الشواهد التي ينطبق عليها مصطلح الترتيب، والشواهد التي ينطبق عليها مصطلح التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء.

ولم يضف المحدثون شيئاً ذا بال على ما قدمه القدماء، فساروا على خطاهم تنظيراً وتطبيقاً. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث:(التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء، دراسة دلالية جمالية)، مقسما على مبحثين:الأول: تنظيري في محاولة إجرائية لتأسيس رؤية جديدة في تقسيم التقديم والتأخير بجمع ما تناثر في كتب القدماء، ومحاولة جمع هذا الشتات بمنهج واضح ومصطلحات محددة.

والآخر: تطبيقي على نصوص من القرآن رتبت فيها الأشياء ترتيباً خاصاً باستعمال تقنية التقديم والتأخير الذي يحاكي جوهر الأشياء، لا مظاهرها السطحية، حتى يُخيّل للمتلقي أنها غير مألوفة لما خبره من تجاربه في الحياة، وبهذا يمكن أن يُعدّ التقديم والتأخير عند المتلقي / الناقد، ترتيباً جديداً يعبر عن رؤية جديدة للمنشئ تخرق سطوح الأشياء إلى سبر أغوارها لتبيان علاقاتها الخفية. وهنا تتضح المفارقة بين الرؤيتين: رؤية المتلقي ورؤية المنشئ الإبداعية، وهذه المفارقة تولّد منبها أسلوبيا يحفّز المتلقي على الاستنتاج والمشاركة في إنتاج المعنى المقامي مما يولّد غنى دلاليا وجماليا ومجالا خصبا للتأويل لمعرفة مقاصد الكلام.

وأخيرا فكلنا أمل أن يُكتب لهذا الجهد من التوفيق والسداد ما يشدّ من أزرنا لمواصلة هذا الطريق وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم عليه توكلنا وإليه ننيب.

المبحث الأول: مفهوم التقديم والتأخير وأنواعه:

ذكر بعض الباحثين أنّ علماء البلاغة وجدوا ((شيئا من النقل والتحريك بين مكونات العبارة في اللغة العربية، وأخذوا هذا الثنائي(التقديم والتأخير) وجعلوه مصطلحا لأحد تقنيات النظم فيها))[١].

ولعل أول من ذكر هذه الظاهرة هو سيبويه في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول مستشهدا بالمثال النحوي(ضرب عبدُ الله زيداً):((وإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل، جرى اللفظ ما جرى في الأول ؛ وذلك قولك:(ضرب زيداً عبدُ الله)؛ لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ، فمن ثمّ كان حدّ اللفظ فيه أن يكون الفاعل مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعا يُهمانِهم ويعنيانهم))[٢].

١ـ تقسيم التقديم والتأخير من منظور تراثي:

نال مبحث التقديم والتأخير عناية بالغة في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)؛ لأنه يركز في قضية موقع العناصر اللغوية في المتوالية الكلامية، والموقع أحد أركان نظرية النظم إلى جوار حسن الاختيار، وكلاهما يؤلف عماد الأسلوب الأدبي الرفيع؛ ولهذا وصف الجرجاني هذا الأسلوب بأنه ((باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدم فيه شيء وحُوّل اللفظ عن مكان إلى مكان))[٣]. وقد قسمه على قسمين[٤]:

الأول: تقديم يقال إنه على نيّة التأخير، وذلك في كلّ شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل، نحو قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٥]، فلفظة (إياك) في موضع نصب بـ(نعبد، ونستعين) بالعطف ،على أنهما مفعولان مقدمان أفادا دلاليا حصر العبادة والاستعانة بالله وحده، أي: ((نخصّك بالعبادة لا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة منك لا نستعين أحدا سواك))[٦]، ولو قيل: (نعبدك ونستعينك) على الأصل، لدلّ على عبادة الله تعالى ولا يمنع من عبادة غيره معه، فضلا عن أن تقديم المفعول، أفاد في رعاية الشرط الجمالي للفواصل القرآنية بالجناس مع: (العالمين، الرحيم، الدين، نستعين ،...)، وربما هذا هو ما عناه الجرجاني باللطافة وحسن الرونق المرافقة لتقنية التقديم والتأخير، فهو ذو وظيفة دلالية جمالية في وقت واحد.

الآخر: تقديم لا على نية التأخير، ولكنه على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابه، كقوله تعالى:﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[٧]، التي تحوّل فيها الفاعل (شيبُ) بالأصل في جملة:(اشتعل شيبُ الرأس) إلى تمييز في ظاهر الآية الكريمة، وبهذا تبدّل الحكم النحوي للفظة(الشيب) بسبب تأخيرها ، فحصل توتر بين البنية المعنوية في إسناد الاشتعال إلى (الشيب) من جهة ، والبنية

اللفظية الظاهرة التي تسند الاشتعال للرأس من جهة أخرى. وهذا التوتر يولد غنى دلاليا وجماليا لا يظهر في الأصل؛ لذا قال الجرجاني إن ((تأخذ اللفظ فتسنده إلى الشيب صريحا، فتقول:(اشتعل شيبُ الرأس) ، أو (الشيب في الرأس) ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة؟ وهل ترى الروعة التي كنت تراها؟ فإن قلت:(فما السبب في أن كان اشتعل) إذا استعير للشيب على هذا الوجه، كان له الفضل؟ ...فإن السبب أنه يفيد مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى؛ الشمول، وأنه قد شاع فيه وأخذ من نواحيه وأنه قد استغرقه وعمّ جملته حتى لم يبقَ من السواد شيء))[٨].

وهذا التقسيم للتقديم والتأخير يشمل الجانب الاسنادي أو اللفظي، بما يعد انزياحا عن الوضع القاعدي للغة. وقد أضاف الزركشي أقساما أخرى تتصل بالتناسب الدلالي، هي[٩]:

الأول: ما قُدّمَ والمعنى عليه: ومقتضياته كثيرة، منها: السبق، وبالذات، وبالعلة والسببية، وبالرتبة، وبالداعية، والتعظيم، والشرف، والغلبة، والكثرة، وسبق ما يقتضي تقديمه، ومراعاة اشتقاق اللفظ، وللحث عليه خيفة من التهاون به، إلى غير ذلك من علاقات التلازم الدلالي، فضلا عن رعاية الفواصل.

الآخر: ما قدم في آية وأُخّر في أخرى: فمن ذلك قوله في فاتحة الفاتحة:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾، وفي خاتمة الجاثية: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ ﴾، فتقديم (الحمد) في الأول جاء على الأصل، والثاني على تقدير الجواب، فكأن قيل: عند وقوع الأمر: لمن الحمد؟ ومن أهله؟ فجاء الجواب على ذلك. ونظيره قوله تعالى:﴿ لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[١٠]، التي يمكن جعلها على شكل حوارية، بحسب رأي الزركشي[١١]:(لمن الملك اليوم؟)، ثم قال:(لله الواحد القهار)، وهو ما يشرك المتلقي في استنتاج المعنى التداولي، إذ يفهم المتلقي أكثر مما قيل.

٢ـ تقسيم التقديم والتأخير من منظور حديث:

بالإفادة من الجهود التراثية المتقدمة يمكن تقسيم التقديم والتأخير تقسيما يتضمن منهجا يوضّح القاعدة أو الأصل الذي يقاس بالنسبة إليه مقدار العدول أو الانزياح في ظاهر النص بالآتي:

أ ـ تقديم وتأخير إسنادي(لفظي): ويتم فيه العدول عن القاعدة النحوية، أي في الترتيب الإسنادي، وقد قسمه عبد القاهر الجرجاني على قسمين: تقديم يقال إنه على نية التأخير، وتقديم لا على نية التأخير.

وقاعدتهما التحليلية هو الأصل النحوي المجرد، ومثال الأول قوله تعالى:﴿ لاَ فِيهَا غَوْلٌ ﴾[١٢]، إذ يمكن تجريد الآية الكريمة كما يأتي:(لا غولَ فيها) وأصلها التجريدي:(لا نافية للجنس+اسمها+خبرها) ، ويفيد هذا الأصل معنى نفي اغتيال الخمر للعقول من دون التعريض بخمر أخرى، أما خلخلة الترتيب بالتقديم والتأخير بحسب ظاهر الآية الكريمة: (لا فيها غول) فإنه يولد فائض معنى، هو نفي اغتيال العقول عن خمر الجنة، فضلا عن التعريض بخمر الدنيا ، فكأن العبارة الجديدة تقول برأي الزمخشري(ت٥٣٨هـ) : ((ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة))[١٣]، أي نفي الصفة الذميمة عنها وإثباتها لغيرها.

ومثال الآخر قوله تعالى:﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[١٤] ، الذي يمكن تجريده إلى صورة ما قبل الأسلبة كالآتي:(اشتعل شيبُ الرأسِ) (فعل+فاعل+مضاف إليه)، لمعرفة تبدّل وظائف عناصر الأصل المجرد عند تغير مواقعها كالآتي:

العنصر	وظيفته في الأصل المجرد	وظيفته الأسلوبية
شيب	فاعل مرفوع	تمييز منصوب
الرأس	مضاف إليه مجرور	فاعل مرفوع

إذ يصبح المضاف إليه فاعلا، وهو ما يولد توترا بالإسناد يظهر في غموض الجملة التي تثير سؤالا: هل الرأس اشتعل حقا، أم مجازا؟ ، فيأتي الفاعل القديم (شيب) مميزا للجملة ومزيلا غموضها ومحددا هويتها الأدبية بأنها مجاز استعاري وليس حقيقة.

وبهذا تفيد القاعدة في تحليل عناصر الجملة من حيث مواقع عناصرها التي تسلط الضوء على وظائفها الدلالية والجمالية من خلال شهادة القاعدة على أسلوبية التركيب في المتوالية النصية بالقياس إلى الأصل المجرد الموجود على محور الاختيار(في الذهن) بوصفه أحد الخيارات المتاحة التي عدل عنها المنشئ إلى خيار آخر.

ب ـ التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء، أو المدلولات: هذا النوع ذكره الزركشي كما مر آنفا ، ويخضع للأسلوبية الدلالية، وهي الجانب الموازي للمتوالية الخطية (من توالي الدوال اللفظية)، وهي الصيغة المجردة (الذهنية) الملازمة للفظ، ومرتبطة بعلاقة الدال والمدلول من جهة، والمرجع الخارجي من جهة أخرى[١٥].

ولم يميز الزركشي التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء، من ترتيب الأشياء نفسها، لعدم تمايز المفهومين عنده، كما انماز أحدهما عند التيفاشي[١٦] ، وتمايز أحدهما يدل على الآخر، إذ وضع التيفاشي مصطلحا سماه (الترتيب) وعرفه بقوله: ((هو أن يجنح الشاعر إلى أوصاف شتى في موصوف واحد فيوردها في بيت واحد أو في بيت وما بعده على الترتيب، ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل الناظم فيها وصفا زائدا، كما يوجد علمه في الذهن أو في العيان كقول مسلم بن الوليد:

هيفاء في فرعها ليل على قمرِ

على قضيبٍ على حقفٍ النقا الدهس[١٧]

فإن الأوصاف الأربعة على ترتيب خلقة الإنسان من الأعلى إلى الأسفل))[١٨].

وأفاد السيوطي (ت٩١١هـ) من مصطلح (الترتيب) للتيفاشي وعدّه ظاهرة بديعية، وعرفه بتعريف

لا يختلف كثيرا عن تعريف سابقه بقوله:((أن يورد أوصاف الموصوف بها على ترتيبها بالخلقة الطبيعية، ولا يدخل فيها وصفا زائدا))[١٩]، وتابعه التهانوي[٢٠](ق ١٢هـ) على ذلك. ومثاله عندهما قوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٢١].

ويتضح مما سبق أن الترتيب ظاهرة بديعية ـ بحسب السيوطي والتهانوي ـ لا علاقة لها بظاهرة التقديم والتأخير، إذ لو حصل تقديم وتأخير في نص قرآني آخر يخالف النص القرآني:(تراب، ثم نطفة، ثم علقة، ثم طفل ...) المذكور آنفا، فإن منهجنا سينقله إلى صنف التقديم والتأخير التناصي، بسبب تقاطع نصين، وإذا لم تحصل هذه الخلخلة الأسلوبية فإن ترتيب الأشياء سيقوم بنفسه بوصفه بديعا وظاهرة من ظواهر الأدب الوصفي[٢٢]، يمكن تسليط الضوء عليها بمنهج آخر، ولا علاقة لها بمبحث التقديم والتأخير، الذي هو مبحث من مباحث علم المعاني، على الرغم من أن هذه الظاهرة لا تخرج النص عن الأدب الوصفي، بل تقوي انتماءه إليه بسبب تدخّل المنشئ في إعادة إنتاج الواقع على وفق رؤيته التي تقتضي تقديم بعضه على بعض لأغراض دلالية وجمالية.

أما المنهج المتبع في تحليل ظاهرة التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء، فتقتضي وضع قاعدة تحليلية تكمن فيما موجود في عقول مستعملي اللغة وهو ((ترابط منطقي Coherence مفاده أنه سيكون لما يقال أو يكتب معنى على وفق خبراتهم الاعتيادية بالأشياء، وسيفسر كلّ فرد الخبرة الاعتيادية محليّا؛ لذا سيكون مقيّدا بالمألوف والمتوقع))[٢٣]. نحو ما سنلحظه في تطبيقات هذا البحث.

ج ـ التقديم والتأخير التناصي[٢٤]: وهذا مصطلح حديث له جذور في مباحث التشابه والاختلاف[٢٥] ، التي تدرس الاختلاف في شكل النص وعلاقته بالمعاني المقامية، ولاسيما مرجع النص، أو إشارته إلى الأشياء في الخارج.

وقد أرجع الدكتور تمام حسان هذا المصطلح إلى مقولة: (القرآن يفسّر بعضه بعضا)، بقوله :((وإذا أعانت آية على شرح (أي تفسير) آية أخرى، فبين الآيتين تناص، وإذا كان القرآن يفسر بعضه بعضا فبين بعضه وبعض تناص))[٢٦].

ويتولد هذا النوع من التقديم والتأخير من علاقة تنشأ بين النسق اللفظي للمحاكاة البسيطة أو غير البسيطة لترتيب الأشياء في الواقع، أي دلالاتها من جهة، والنسق اللفظي المخالف لهذا الترتيب من جهة أخرى. ويقسم على قسمين:

أولا: تناص إسنادي:نحو قوله تعالى:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢٧] المألوفة، و:﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢٨]، المخالفة لها تركيبيا أو لفظيا ، فكلاهما يؤلف بنية أسلوبية واحدة يجب دراستها مجتمعة، لأنهما يولدان تقنية التناص الإسنادي.

ثانيا:تناص دلالي: نحو ترتيب ذكر النبيين:

﴿ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ في ست آيات[٢٩] الوارد بحسب الأفضلية ، وهذا الترتيب غير مثير؛ لأنه محاكاة بسيطة للواقع يقتضيها الترابط المنطقي بتقديم الفاضل على المفضول ؛ وتصبح مثيرة عندما تكون سياقا لأسلوب مخالف، نحو قوله تعالى في موضع واحد :﴿ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾[٣٠]، وهو ما يولد تقنية التناص الدلالي، التي تشتغل على قطع نسق البينة اللغوية بعنصر غير متوقع. ومن التضاد الحاصل من تداخل المتوقع، وغير المتوقع ينشأ المنبه الأسلوبي؛ عن طريق توالي العناصر غير الموسومة والموسومة[٣١] في مجموعات ثنائية تمثل السياق الاسلوبي من منظور أسلوبية ريفاتير[٣٢] Refuter.

المبحثُ الثاني: تطبيقات التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء:

نجد في عدد من النصوص القرآنية أن الأشياء تترتب ترتيبا خاصا خاضعا لتقنية التقديم والتأخير ، بما يخالف ترتيبها الذي يحاكي الواقع، لنكون على بيّنة من أن محاكاة الواقع لم تأتِ بسيطة[٣٣] بإعمال إمكانات التعبير، ولهذا نلحظ أن الترتيب الجديد في القرآن الكريم يؤلف نسقا تعبيريا مميزا، يمكن أن نعدّه انزياحا عن الأصل المحاكى الذي ترسمه اللغة بألفاظها ومعانيها، مما يثير التنبّه والتساؤل في ذهن القارئ، لماذا رتبت الأشياء بهذا النسق الذي خالف خبرتنا المنطقية؟!.

ويأتي الجواب على لسان أرسطو Aristotle (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) - الذي طور نظرية المحاكاة - ، في أن المتكلم المبدع ينتقي من المادة الخام غير المترابطة للحياة الواقعية، فيحاكيها مميزا السطح من الجوهر، فهو يحاكي الجوهر ليعلو الفن على ما هو جزئي بتجاهله للخصائص العرضية للأشياء[٣٤]. وهو ما اعتمده الأدب الراقي وأعلاه رتبة نصوص القرآن الكريم.

ومن ذلك تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة، على الرغم من أنّ العبادة لا تتحقق إلا بإعانة الله سبحانه وتعالى وتوفيقه [٣٥] ، - بحسب تصورنا - لصعوبة العبادة المخلصة التي يريدها الله تعالى:﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[٣٦] ومن أهم العبادات وأصعبها الصلاة لقوله تعالى:﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[٣٧]. وقوله تعالى:﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾[٣٨]. ولهذا السبب كان من المفروض البدء بالاستعانة أولا، ثم العبادة، ولكن الترتيب القرآني انعكس في سورة الفاتحة، بقوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٣٩] ، وقد علل الزمخشري ذلك بقوله: ((لأنّ تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها))[٤٠].

وذكر الرازي (ت٦٠٤هـ) تعليلا دلاليا له ارتباط وثيق بنوايا الإنسان الخيرة، وعلاقته الخفية مع خالقه إذا ما تحققت وتوثقت؛ ذلك أن سائر أعمال الإنسان وأفعاله يبدأ بالجهد الذاتي والإرادة الشخصية أولا، ومن ثم يأتي توفيق الله وإعانته لتحقيق تلك الأفعال والأعمال ، فـ((كأن المصلي يقول:شرعت في العبادة

فاستعين بك في إتمامها، فلا تمنعني إتمامها بالموت ولا بالمرض ولا بقلب الدواعي تغيّرها... وكأن الإنسان يقول:يا إلهي إنّي أتيت بنفسي إلا أن لي قلبا يفرّ مني، فأستعين بك في إحضاره...فدلّ ذلك على أن الإنسان لا يمكنه إحضار القلب إلا بإعانة الله...))[٤١].

في حين قصر ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) وظيفة التقديم والتأخير في هذه الآية المباركة على الوظيفة الجمالية فحسب، إذ قال:((فإنه لم يقدم المفعول به على الفعل للاختصاص، وإنما قدم لمكان نظم الكلام ؛ لأنه لو قال:(نعبدك ونستعينك) لم يكن له من الحسن ما لقوله:(إياك نعبد وإياك نستعين)، ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ*الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، فجاء بعد ذلك قوله:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وذاك لمراعاة حسن النظم السجعي، الذي هو على حرف النون،ولو قال:(نعبدك ونستعينك) لذهب تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن، وهذا غير خافٍ على أحد من الناس، فضلا عن أرباب علم البيان))[٤٢].

وجمع البيضاوي (ت٧٩١هـ) بين الرأيين الدلالي والجمالي في بيان وظيفة التقديم والتأخير الذي حصل في نسق العبادة والاستعانة، إذ وجد أنه لا تعارض بينهما؛ لأنّ الوظيفة الجمالية للمستوى الصوتي تتناسب مع الوظيفة الدلالية، التي أبان عنها بقوله إنه: ((لمّا نسب المتكلم العبادة إلى نفسه أوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه، فعقبه بقوله:﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، ليدل على أن العبادة أيضا مما لا يتمّ ولا يستتب له إلا بمعونة منه وتوفيق))[٤٣].

وسلط أبو السعود (ت٩٨٢هـ) الضوء على اتجاه العلاقة بين العبد ومعبوده في تقديم العبادة لاتصالها بالخالق، وتأخير الاستعانة لاتصالها بالمخلوق؛ لذلك اقتضى تقديم العبادة على الاستعانة، قال:((وتقديم العبادة لما أنها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وإن ساعدته الصفات المجراة أيضا، وأما الاستعانة فمن الأحكام المبنية على الصفات المذكورة، ولأن العبادة من حقوق الله تعالى، والاستعانة من حقوق المستعين؛ ولأن العبادة واجبة حتما، والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه))[٤٤].

وقال أيضا: ((إنه لمّا كان المسؤول هو المعونة في العبادة والتوفيق لإقامة مراسيمها على ما ينبغي وهو اللائق بشأن التنزيل، والمناسب لحال الحامد، فإنّ استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من أفعاله ليستعينه تعالى في إيقاعه، ومن البيّن أنه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى، واشتغاله بأداء ما توجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء))[٤٥].

وأورد الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) عدة أسباب للتقديم والتأخير[٤٦] منها: أن العبادة أمانة، فاهتم للأداء فقدّم ، والعبادة مما يتقرب بها العبد إلى الله تعالى والاستعانة ليست كذلك فالأول أهم، والعبادة مطلوبة لله تعالى من العباد، والاستعانة مطلوبهم منه سبحانه، فتقديم العبد ما يريده مولاه منه أول على صدق العبودية من تقديم ما يريده من مولاه، والعبادة واجبة حتما لا مناص للعباد عن الإتيان بها حتى جعلت كالعلة لخلق الإنس والجن فكانت أحق بالتقديم، إلى غير ذلك من تعليلات ترجح مناسبة تقديم العبادة على الاستعانة.

وكأن هذا النسق من الترتيب يشير إلى آداب العلاقة بين العبد وربه، إذ لا يحقّ للعبد أن يطلب الاستعانة من معبوده ما لم يكن راسخا في مقام العبادة أولا ، بمفهومها الواسع الذي يشتمل على عمل يقوم به الإنسان مقترنا بنية القربى إلى الله تعالى، ابتداء من الفروض ومنها:(الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة) إلى غير ذلك. ولعلّ أهمها الصلاة، لأنها لا تسقط في كل الأحوال ، ولذلك عُدّت الصلاة حاضنة لكل العبادات، قال رسول الله(ص) : ((إن قبلت قبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها))[٤٧]، فإذا تمكن العبد بإرادته من مقام العبادة كنسغ صاعد من الأسفل إلى الأعلى استحق على ذلك المقام العطاء والإعانة على بلوغ ما لم يستطع بلوغه بنفسه، بعلاقة تعد نسغا نازلا من الأعلى إلى الأسفل، أي من الله تعالى إلى العبد[٤٨].

ويتضح هذان النسغان في الحديث القدسي:((ما تقرب إليّ عبد بشيء أحب إليّ مما فرضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعانني لأعينّه))[٤٩].

فأين محاكاة الجوهر في هذا الترتيب؟ بافتراض أن عكس الترتيب بالتقديم والتأخير يُعد ترتيبا أيضا ؟ ذلك أن الترتيب المفترض: (الاستعانة قبل العبادة) يعد محاكاة للواقع من منظور الإنسان العاجز، فهو يمثل قاعدة للتحليل، في حين يعد التقديم والتأخير ترتيبا لعلاقات الواقع من منظور إلهي، وبهذا فلا بد أن ينطوي على محاكاة جوهر ما يتمثل في حركة المادي (الإنسان) وارتقائه المستمر نتيجة لتطور العلاقة الجدلية بين العبادة ورسوخها ودوامها من جهة، والاستعانة التي تواكب هذا العمق والدوام للوصول إلى الصفات والعلاقات الأعمق والأكثر استقرارا للإنسان والتي تحدد أصله وطابعه واتجاه رقيه الروحي[٥٠]، حتى يصبح موضوعا لسجود الملائكة عليه قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ*فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[٥١].

وهذا الرقي الإرادي الذي يعبّر عن ملكات الإنسان المحررة ومقدرته المؤيدة بإعانة الله تعالى له، ستكون معيارا دقيقا للمفاضلة، وهو ما لم يحصل لو استعان العبد أولا ثم أدى العبادة من دون مكافحة وبذل أقصى جهد فيها، قال تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[٥٢].

ومن صور التقديم والتأخير في القرآن الكريم، تقديم حرمة نكاح زوجات الآباء على باقي المحرمات نحو: الأم، والبنت، والأخت إلى غير ذلك، قال تعالى:﴿ وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[٥٣].

وهي من محرمات السبب التي لا يُفترض أن تقدّم على محرمات النسب، ومحرمات السبب الأخرى التي تليها في قوله تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي

فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[٥٤]؛ لأن النسب أقوى من منظور بشري ، ولكن الله تعالى ذكر حرمة نكاح زوجات الآباء متقدما على سائر المحرمات، على الرغم من أن نكاح زوجة الأب غير الأم، يبدو في الظاهر أهون أمرا وأقلّ خطرا من سائر المحرمات، وأن مكانها الطبيعي يجب أن يكون في نهاية الآية الثانية، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار العلاقة من الأقوى نزولا إلى الأضعف.

ويبدو أن سبب التقديم جاء لتعظيم شأن الآباء[٥٥] واحترامهم في تحريم منافسة أبنائهم لهم على منطقة شهوية واحدة سواء أكان ذلك نكاحا صحيحا(بعقد) أم فاسدا (بزنا) ، وكذلك لتعظيم حرمة زوجة الأب وعدم الاستهانة بها وعدّها سلعة وجزءا من ميراث الآباء للأبناء؛ لأن ذلك يمثل نكوصا نفسيا ينشط عدوانية الأبناء الكامنة لآبائهم في عقد أوديب Oedipus Complex، وهي سلوك موجود في عالم الطفل الذكر، إذ يتعلق بأمه ويكره أباه تعلقا يتناوله الكبت بالتربية الأخلاقية والقيم الاجتماعية والدين، وتكون هذه العقدة صحية تحدد السلوك المستقبلي السوي بالميل نحو ما يشابه الأم جنسيا، أي الميل للإناث ، أما تضخم هذه العقدة فيؤدي إلى الشذوذ، فيميل الابن إلى قتل أبيه والزوج من أمه، أو التعبير عن هذا المفهوم بصور كثيرة على نحو رمزي، ومنها صورة نكاح زوجة أبيه المشابهة جدا لأمه، ولذلك عُدّ هذا الزواج بشعا أفحش من الزنا بالاستدلال، قال ابن كثير(ت٧٧٤هـ): ((وعلى كل تقدير فهو حرام في هذه الأمة مبشع غاية التبشّع، ولهذا قال تعالى:﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[٥٦] ، وقال:﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزنا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[٥٧]، فزاد هاهنا(ومقتا)، أي بغضا، أي هو أمر كبير في نفسه، ويؤدي إلى مقت الابن أباه بعد أن يتزوج بامرأته، فإن الغالب أن من تزوج بامرأة يبغض من كان زوجها قبله، ولهذا حرمت أمهات المؤمنين على الأمة؛ لأنهنّ أمهات لكونهن زوجات النبي(ص) وهو كالأب...))[٥٨].

فهذه الأسباب مجتمعة عملت على تقديم تحريم منكوحات الآباء من غير الأمهات في سلسلة المحرمات، بالسبب على سائر المحرمات النسبية والسببية جميعا.

ومن صور التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء ، تقديم الإراحة على التسريح، في قوله تعالى:﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ*وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾[٥٩]. إذ قدم (تريحون) على(تسرحون)، وإراحة الأنعام متأخرة في الترتيب الزمني عن تسريحها [٦٠] ولكن النظر في السياق القرآني ينبئ أنه في بيان ما في الأنعام من متعة وجمال، ومعروف عنها إذا أراحت كأعظم ما تكون أسنمة، وأحسن ما تكون إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع [٦١] ، ثم اجتمعت في الحظائر حاضرة؛ لأهلها بخلاف التسريح فإنها عند خروجها إلى المرعى تخرج جائعة عادمة اللبن ثم تأخذ في

التفرق والانتشار، فظهر أن الجمال في الإراحة أكثر منه في التسريح[٦٢]، ولذلك قدمت الإراحة على التسريح.

وتظهر محاكاة الجوهر في التقديم والتأخير من خلال التركيز على الشكل المكتنز للأنعام بعد الإراحة ، فضلا عن التركيز على الموضوع، والشكل المكتنز يوفر متطلبات المنفعة والمتعة في وقت واحد، وتلفت التنبّه إلى مقاصد الخالق والإعجاب بصنيعه، فنحن لا نعجب بالأشياء الجذابة عند النظر إليها إذا كان تصميمها غير مفيد، فالقطار الذي لا يسير، والملابس غير المريحة تؤدي بنا إلى القول: إن صانعها قد أخفق، مهما كانت هذه الأشياء بديعة في منظرها [٦٣]. فالأهمية الرئيسة لطابع المنفعة أو ظهور هذا الطابع بصورة أبرز من غيره هو الذي يميز الصنائع الجميلة النافعة من الفنون التي تنماز بالإبداع فحسب من دون وجود منفعة.

وقد عمل هذا التقديم والتأخير المخالف للنسق الزمني على إنشاء ترتيب مثير جديد يمكن أن نعدّه ترتيبا إبداعيا عميق المضمون، يقابل ترتيبنا الزمني الساذج ذا المحاكاة البسيطة الذي يمكن عدّه قاعدة نقيس بالنسبة إليها مقدار الانزياح الدلالي لإدراك الترتيب الإلهي الجديد الذي ينتظم مع السياق اللغوي السابق للآية الكريمة وهو:(الأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)، إذ يأخذ هذا الجزء من الآية الكريمة صفة النفع الخالص، فالدفء والأكل من بعض المنافع، تليها الأنعام المستندة إلى النفع والجمال، وأخيرا صفتها المستندة إلى الجمال وحده.

وإذا وازنا هذا الترتيب مع القاعدة التي في أذهاننا التي وضعت صفة (النفع والجمال) متأخرة، فإننا سنلتفت إلى أهمية وضع هذه الصفة في الوسط بين المنفعة المحضة والجمال المحض؛ لأنها تجمع بين الاثنين، وفيها إرشاد للعمل بموجب هذا التوسط ؛ لأنّ النظر إلى الأنعام من زاوية النفع فقط يؤدي بنا إلى تحطيم الجمال الإلهي فيها بذبحها وتحويلها إلى صناعة جلود ولحوم وغيرها مما يجعلنا ننظر إليها بأنها أرقام من المال مجردة، وقد تلتقي هذه النظرة بنظرة الحيوانات المتوحشة للحيوانات التي تأكل لحومها، وفي هذه النظرة تطرف يوازيها تطرف آخر هو النظر إلى جمال الأنعام وحده، كالذي يحصل في تربية كثير من الحيوانات لأغراض الزينة. وبهذا تتضح أفضل النظريات إلى مخلوقات الله تعالى وهي نظرية الموضوع:(النافع الممتع).

ومن صور التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء، ما نجده في ترتيب قصص الأنبياء الواردة في سورة الشعراء، إذ ذُكرت فيها سبع قصص على وفق الترتيب الآتي:

١ـ قصتان مخالفتان للتسلسل الزمني مقدمتان على سائر القصص هما: قصة موسى(عليه السلام) وقصة إبراهيم (عليه السلام)، وقد خالفت قصة موسى (عليه السلام) ترتيبها الزمني بالنسبة إلى قصة إبراهيم (عليه السلام) فقدمت عليها، أي أن قصة موسى (عليه السلام) قُدّمت مرتين.

٢ـ خمس قصص متأخرة، وردت على وفق ترتيبها الزمني هي : قصة نوح، وقصة هود ، وقصة

صالح،وقصة لوط، وأخيرا قصة شعيب (عليه السلام).

فما السر في تقديم القصتين الأوليين على القصص الخمس الأخرى ؟، وما السر في تقديم قصة موسى على قصة إبراهيم على الرغم من أن النبي إبراهيم متقدم على موسى زمنيا ؟ وما السبب في تأخير القصص الخمس الأخرى وأخذها الترتيب التاريخي المألوف؟

للإجابة على هذه الأسئلة المذكورة آنفا لابد من تحديد المغزى الرئيس لسورة الشعراء الذي يمكن استنتاجه من تاريخ نزل السورة الكريمة، إذ تشير المصادر[٦٤] إلى أنها من عتاق السور المكية، ومن أوائلها نزولا لاشتمالها على قوله تعالى:﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[٦٥] ، وقد فعل النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ما أمُر به فواجهه أكثر أفراد عشيرته بالتكذيب والسخرية شأنه شأن الأنبياء(عليه السلام) السبعة السابقين له. وقد انتهت كلّ هذه القصص بانتصار الطرف الضعيف المؤمن، على الطرف القوي الكافر بتأييد من الله تعالى. كل هذا سيق لغرض تسلية النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وشدّ أزره والإيحاء له بأنه هو الغالب لا محالة.

وما دمنا فهمنا المغزى الرئيس للسورة الكريمة، فإن أعظم تسلية ستقدم للنبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، لابد من أن تبدأ بأعظم موقف واجهه نبي سابق عليه مشابه لموقفه الحالي، إذ تشير قصة موسى (عليه السلام) إلى صراع عقائدي ينتهي بعنف مسلح، يتمثل بشخصية موسى (عليه السلام) بموقفه النفسي والمادي الضعيف، مقابل شخصية فرعون بموقفها القوي؛ لأنه في منصب إله وإمبراطور، وكان المغزى من الصراع إنقاذ مجموعة من المؤمنين المستعبدين من الظلم، ويظهر التفاوت بين موقفي طرفي الصراع عندما يُكلف موسى (عليه السلام) بالمهمة في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ*قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلاَ يَتَّقُونَ ﴾[٦٦] ، فكان رد موسى على هذا التكليف هو:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ*وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ*وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾[٦٧].

وبعد كلّ هذا تنجو الفئة الضعيفة هي وقائدها بتأييد من الله تعالى وتندحر القوة العظيمة بغرقها مع قائدها، قال تعالى:﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ*ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴾[٦٨]. وقد جاء بناء هذه القصة بناء دراميا[٦٩] مقنعا يحاكي ما يقع في الواقع من صراع لا تتدخل في ترجيح كفته قوى إلهية خارقة إلا في اللحظات الأخيرة للصراع عندما توشك قوى الشر أن تقضي على قوى الخير قضاء مبرما، إذّاك يتجلى الجوهر الإلهي من دون أن ينقلب إلى نقيضه ، بالقول الذي يصبح فعلا على يد المخاطَب به، قال تعالى:﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[٧٠].

في هذه الصورة تؤلف الأخلاق الجوهر الروحي للإرادة الإلهية وتحققها بعرض واقعي مقنع يضمن فيها هذا الجوهر تقديم الجوانب الأساسية والخصوصية للمضمون القادر على تحريك العمل الإنساني حقا ، بدلا من المثالية المجردة التي يتصورها الوجدان

الديني بكيفية خالصة [٧١].

وبهذا تمثل قصة موسى عليه السلام حقيقة كلية لانتصار الحق مهما كان مبالغا في ضعفه على الباطل مهما كان مبالغا في قوته، بمعنى أنّ ضعف الحق قوة، وقوة الباطل ضعف، وهذه الحقيقة تستند إلى أساس تاريخي واقعي يقف عند تخوم الحياة الدنيا، ولا يمتد إلى فضاء غيبي أخروي مصرّح به، ولهذا جاءت قصة إبراهيم (عليه السلام) متممة للبعد الدنيوي بعرضها مشهدا أخرويا حاسما من دون تطرقها إلى مشاهد الصراع الدنيوية على الرغم من وجودها في قصة إبراهيم عليه السلام في سورة أخرى[٧٢]، لذلك جاء أسلوب حبكة هذه القصة مختلفا عن أسلوب حبكة قصة موسى (عليه السلام) ؛ ذلك أنّ نظم الأحداث قد احتل المرتبة الأولى في تحديد شكل الفعل الدرامي في قصة موسى في حين احتل نظم العواطف المرتبة الأولى في تحديد شكل الفعل[٧٣]، وقد قُسم البوح العاطفي فيها على قسمين بحسب فضاء القص:

الأول: يخص إبراهيم (عليه السلام) ، وفضاؤه(الآن) باستحضار الماضي في الدنيا.

الآخر: يخص قوم إبراهيم وأباه ، وفضاؤه(الآن) باستحضار المستقبل من الآخرة.

وقد حصل هذا التقسيم؛ لأنّ الشخصيات المقابلة لإبراهيم بدت مطمئنة إلى ما هي عليه في جمودها الفكري ممتثلة إلى العاطفة على أنها الحقيقة الوحيدة فهي تعبّر عن قدرية هذه العاطفة بما يجعلها غير قابلة للإسهام في محاكاة الفعل[٧٤]، فلم يصبها توتر فكري أو شحن عاطفي يؤثر فيها ويغيّرها، لذلك أطنب قوم إبراهيم في الرد على سؤال نبيهم بقولهم: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ*قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ [٧٥].

ومن هنا يمكن القول إنّ فرعون وقومه كانوا أكثر تحضرا من قوم إبراهيم؛ لأنهم فسحوا لموسى بتطوير الحبكة كثيرا قبل حدوث العنف، وعلى هذا الأساس زُجت الشخصيات المناوئة لإبراهيم في أعظم موقف حدّي[٧٦] Situation Limit وهو موقف يوم القيامة الذي يُمثّل غاية الحدود الروحية الإنسانية والنشاط العملي الإنساني، الذي تتخذ فيه القرارات الأخلاقية الحقيقية النابعة من الطبيعة القدرية لهذا الموقف. فالإنسان في مثل هذه المواقف لا يمكن أن يكذب، ولهذا فلا بد من إعادة السؤال نفسه على الكفار من قوم إبراهيم ليُعرف الفارق بين برودهم العاطفي في إجابة نبيهم في الدنيا، وحرارة عواطفهم في إجابة السائل المجهول في الآخرة، وهو ما يظهر قوله تعالى:﴿ وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ*وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ*وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ [٧٧]، ليكون جوابهم :﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ*تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ*إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ*وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ*فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ*وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ*فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٧٨].

يكشف هذا الجواب عن قرار أخلاقي يمثّل جوهر محاكاة الحياة الدينية التي لا تظهر في صورة الورع العازف عن العمل، أو في صورة حكم على الشر والخير في عمل

يقال:إنّ الله أودعه في النفس الإنسانية، بل على العكس في صورة تدخّل فعّال في المصالح الفعلية وملاحقتها[٧٩] بالإيمان بالله وتوحيده ونبذ الأصنام وإطاعة الأنبياء والندم على ما فات، الآن في هذا الموقف الذي يستحضر المستقبل في النص لتجنب مآسي هذا الموقف المُذّل الرهيب في المستقبل الغيبي. ونتيجة لذلك يتكامل أثر الدراما القرآنية المرتبة ترتيبا مقنعا تطمئن له القلوب؛ لأنها قدّمت القصة التاريخية الأحدث (قصة موسى على القصة الأقدم تاريخيا(قصة إبراهيم)، لاستناد القصة الحديثة تاريخيا إلى مرجع تاريخي، وقد استلت من بين القصص الخمس الأخرى:قصة :(نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب)، لشدة تفاوت كفتي الصراع فأقنعتنا بانتصار الضعيف جدا على القوي جدا في دنيا التاريخ، فأصبحت لدينا مسلمة منطقية:(أن ليس هناك مستحيل عندما تتدخل الإرادة الإلهية)، مما يحملنا على تصديق ما لم يقع بعد، لنجمع بين الاعتبار من الماضي والمستقبل في وقت واحد ، وكأن تجارب الماضي سنّت لنا قانونا يُنبّئنا عما سيحدث في المستقبل. ولما كانت القوانين لا تستخلص من واقعة واحدة(قصة موسى)، عُرضت ـ بعد تمام المشهد الدنيوي والأخروي ـ خمس قصص تاريخية أخذت نسقا تاريخيا مرتبا ترتيبا زمنيا دلالة على اطراد هذا القانون الموصول بالضرورة بالمشهد الأخروي المعروض في قصة إبراهيم المتممة للفضاء الأخروي، وقد جاءت القصص الخمس كالآتي:

ت	اسم القصة	صور الانحراف	نوع الانحراف
١.	نوح	﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾	تكذيب نبي
		﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾	تسلط طبقي
		﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنْ الْمَرْجُومِينَ﴾	تهديد النبي
		﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾	تكذيب نبي
٢.	هود	﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾	تكذيب نبي
		﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ *وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾	تسلط طبقي
		﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾	تجبّر
		﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾	تكذيب نبي

٣.	صالح	﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾	تكذيب نبي
		﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ(...)وَتَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾	تسلط طبقي وترف
		﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾	تكذيب معجزة
٤.	قصة لوط	﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾	تكذيب نبي
		﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنْ الْعَالَمِينَ﴾	شذوذ جنسي
		﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنْ الْمُخْرَجِينَ﴾	تهديد النبي
٥.	قصة شعيب	﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾	تكذيب نبي
		﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنْ الْمُخْسِرِينَ *وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ *وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾	فساد بالمعاملات
		﴿وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنْ الْكَاذِبِينَ﴾	تكذيب النبي

نلحظ أنّ صور الانحراف في هذه القصص لم تبلغ إلى حدّ استعباد شعب مؤمن مُورس عليه إرهاب دولة منظم منذ زمن طويل بالصورة التي وصفها القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاَءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (٨٠)، ولذلك قُدّمت قصة موسى (ع) على سائر القصص الأخرى؛ لأنها قصة تاريخية لا يمكن إنكارها، أكملت مشاهدها الدنيوية بمشاهد أخروية في قصة أحدث منها، مراعاة لمقتضى حال المخاطب لإقناعه؛ ولأنها تمثل تفاوتا كبيرا في ميزان القوى المتصارعة، ولذلك فهي أبلغ في تسلية النبي محمد (ص) وأكثر تصويرا لتحقيق الإرادة الإلهية.

ومن صور التقديم والتأخير في الترتيب تقديم أزواج النبي على بناته في قوله تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾(٨١).

ولاشك في أن علاقة الأبوة أقوى وأوثق من علاقة الزوجة؛ ذلك أن علاقة الأبوة علاقة نسبية غير قابلة للانفصام، في حين تكون علاقة الزواج علاقة سببية قابلة للانفصام فهي تحصل بالعقد وتنفسخ بالطلاق ، وكان

من المفترض تقديم البنت بحسب قوة هذه العلاقة المراد المحافظة عليها، وعلى الرغم من ذلك نجد السياق القرآني يقدم الزوجة على البنت، وقد ذكر الزركشي سببا لهذا للتقديم، في أن((الأزواج اسبق بالزمان))[٨٢]، وتابعه السيوطي على ذلك[٨٣].

وفي هذا نظر، ذلك أنّ الزوجات لسن بالضرورة أسبق في الوجود من البنات، ولاسيما بالنسبة لخطاب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) المصرّح به في الآية الكريمة، وإن أريد بخصوصية الخطاب عمومه، فقد يكون للرجل منّا بنات أسبق من بعض زوجاتنا، ولهذا يمكن افتراض أن الزوجات بوصفهن مربيات فإنهنّ قدوات للبنات في محاكاة جوهر الحجاب وهو:(صيانة المضمون بالتقليل من شأن الشكل)، وهو ما تفيده (من) البعضية :(يدنين عليهن من جلابيبهن)، فإذا رأت البنت أمّها أو مربيتها السلوك المثالي للزوجة، فإنها تتأثر بهذا السلوك وتجعله قدوة لها في الحال وفي مستقبل حياتها الزوجية نتيجة للتأثير الموحى به من جهتين: جهة المرأة الزوجة(الأم/ المربية)، وجهة الرجل (الأب/ الزوج) المنظم لحياته الزوجية بفعل الأمر(قل)، وبهذا يكون تأثير القول للبنات أقوى وأسرع تأثيرا؛ لأنّ القائل قد طبق الأمر على نفسه، وعلى الأقرب إليه من ناحية عاطفية وهي الزوجة، وبخلاف هذا فإننا نتوقع إذا أمرت الابنة قبل الزوجة بالتمسك بفضيلة الحجاب، فإنها قد تتمرد قائلة:(تأمرني بهذا وهذه زوجتك متبرجة، ولاسيما إذا كانت الزوجة ليست أمها)، وبهذا يمكن النظر إلى الترتيب القرآني بأنه يسلط الضوء على حقيقة كلية جوهرية مركزها الرجل القائم بالأمر بوصفه عقلا منظما للفضائل التي تتصل بالإثارة العاطفية بتطبيق الأمر على الزوجة لأنها أقرب عاطفيا من البنت، تليها الابنة، اقتداء بالزوجة وامتثالا لما يرضاه الأب لنفسه من خلال علاقته بالزوجة، ليكتمل التطبيق على إناث أسرة الآمر بالفضيلة فتكون أسرة الآمر قدوة للأُسَر الأخرى، مما يؤهلها للامتثال لأمر المصلح الاجتماعي؛ لأنه طبق الأمر أولا على أسرته، بما يوحي بأهمية هذا الأمر وجديته ليأخذ فعل الكلام مفعوله، بخلاف من يأمر بشيء ولا يعمل به، إذ يكون محل سخرية واستهجان، قال تعالى:﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾[٨٤]، وهذه الحقيقة جوهرية كلية عرفها الشعراء، قال الشاعر:

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثله
عارٌ عليكَ إذا فعلت عظيمُ
ابدأ بنفسكَ وانهها عن غيّها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ[٨٥]

فالآية الكريمة السابقة والبيت الشعري يعربان عن الانحراف عن الحقيقة الكلية التي كشفت عنها الآية الكريمة التي ترتب الأمر بالفضائل بسلوك حقيقي فعال.

ومن صور التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء، قوله تعالى:﴿ فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاخَّةُ*يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ*وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ*وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ*لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[٨٦].

فقد ذكر فريق من المفسرين أنه تعالى بدأ بالأخ ثم الأبوين لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين؛ لأنهم أقرب وأحبّ كأنه قال: يفرّ من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبته وبنيه [٨٧]، وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة [٨٨]. ولكنهم لم يبيّنوا كيفية حدوث المبالغة ، وكان من المفروض أن يلتجئ المرء إلى الأحب إليه أولا ـ إذا حزبه أمر ـ لتوقعه أن هذا الحبيب سيكون عونا له غير مشكوك فيه لتيسير الصعب وتنفيس الكرب.

وربط فريق آخر هذه العلاقات بشخصيات دلّت عليها[٨٩]، فجاءت بحسب التسلسل التاريخي، فأوّل من يفرّ من أخيه هابيل، ومن أمه وأبيه إبراهيم، ومن صاحبته نوح ولوط، ومن ابنه نوح.

ولم يرتضِ الشيرازي انطباق هذه المصاديق على الآية الكريمة بوصفها إيحاءات لأسلوب الترتيب، وذلك في قوله:((يعتقد بعض بأن التسلسل قد لوحظ فيه شدة العلاقة ما بين الناس ومن يرتبط بهم، وقد تسلسل الذكر من الأدنى حتى الأعلى ليعطي هذا التصوير بعدا بلاغيا فهو من أخيه ثم أمه وأبيه، ثم من زوجته وبنيه، ولكن يصعب الخروج بقاعدة كلية تختص في ترتيب العلائق بين الناس، فالناس ليسوا سواسية في هذا الجانب، فقد نجد مرتبطا بأخيه أكثر من أي إنسان آخر ونجد ممن لا يقرب على علاقته بأمه شيء، وثمة من تكون زوجته رمز حياته، أو من يفضل ابنه حتى على نفسه إلى غير ذلك))[٩٠].

ويبدو أنّ اعتراض الشيرازي وجيه، ولكن ردّه غير صحيح، أما وجاهة اعتراضه فتكمن في عدم لياقة فرار الأنبياء(عليه السلام) ممن ارتبطوا معهم بعلاقات نسبية وسببية، سواء في الدنيا أم في الآخرة، أما في الدنيا فقد تحمّل الأنبياء (عليه السلام) بأخلاقهم أوزار هؤلاء رغبة في هداية من يحبونهم، وأما في الآخرة فالأولى أن يفرّ هؤلاء المنحرفون من الأنبياء وليس العكس.

وأما عدم وجاهة رد الشيرازي ؛ فلأنه لم يستخلص الكليات الثابتة من استقراء الظواهر الفردية المستقرة، فذهب إلى استقصاء الاحتمالات بحسب أمزجة الناس حتى جعل الجزئيات متنافرة تتحول بحسب الاحتمالات، لذلك يكون سلوكها غير قابل للحصر، وكان من المفروض أن ينظر إلى الأخ بوصفه أخا وكذلك سائر العلاقات لتثبيت إحدى الصفتين لرصد التحول في صفة أخرى، ولهذا كان استنتاج الشيرازي لا يصدق على القرآن الكريم، الذي تكمن حيويته وديمومته بوصفه نصا معجزا في تعبيره الرمزي المعبّر عن الكليات، ليبقى صالحا لكلّ زمان ومكان ليكون خالدا أبد العصور.

والجواب الصحيح هو الذي يوافق الموقف الذي يكون فيه المرء أحوج ما يكون إلى الرحمة منه إلى النقمة والرفض، ولما كان الترتيب يبدأ من الأقل حبّا فصاعدا، لذا نتوقع موقف الأقل حبا سيكون أكثر قسوة من سواه، وهو موقف الأخ، الذي يجعلك تفرّ منه؛ لأنه سيطالبك بالتبعات بلا رحمة، فيلتجئ المرء إلى من يعتقد أنهما أرحم وهما:(الأبوان) ـ بحسب ما خبره عنهما في حياته ـ فيجدهما يطالبانه أيضا، فيصطدم بموقفهما صدمة أشد، لكنه قد يعذرهما

؛ لأنه تلقى منهما كثيرا من العطف والرعاية من قبل، من دون أن يوفيهما حقهما، فلا ينبغي أن يطلب منهما المزيد، فيلتجئ إلى من أفاض عليهم بعطفه ورعايته:(الزوجة والأبناء) لعلّهم يردون إليه جزءا مما أنفقه عليهم، ولكنهم يواجهونه بموقف يخيب آماله، فيفر منهم فرارا يصل به إلى حدّ الذروة من اليأس. وهذا ما صوره الزمخشري بقوله: ((قيل:يفرّ منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات؛ يقول الأخ:لم تواسني بمالك، والأبوان:قصرت في برّنا، والصاحبة: أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت، والبنون: لم تعلمنا ولم ترشدنا))[٩١].

وبهذا المعنى يصور هذا الترتيب صورة الفعل الدرامي الذي يبدأ مؤثرا في الشخصية الدرامية تأثيرا يتصاعد شيئا فشيئا حتى يصل ذروة الفعل بإيقاع أحداث يتصاعد باطراد يعمل على إمتاعنا بهذه الصورة، التي تجمع بين الأثر المأساوي والكوميدي بسبب فهمنا لإيقاعها. والإيقاع جوهر الفن الذي يزيد إبصارنا الجمالي حدّة، ومن ثمّ تزداد التجربة الجمالية إمتاعا[٩٢]، بما تنطوي عليه من انفعالات وأفكار، فضلا عما يعبّر عن مقدرة المنشئ سبحانه وتعالى في تعطيل العلاقات التي يألفها الإنسان في الحياة الدنيا، لإنشاء علاقات جديدة، وما إن يتصرف الإنسان بما يألفه في الزمان والمكان غير المناسب(القيامة) حتى يصبح أضحوكة، ولذلك عقّب سبحانه وتعالى بعد هذا الترتيب الدرامي بقوله:﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾، فيعي إذّاك أن لا مفرّ من الله إلا إليه، ولما كان هذا اليوم لم يحن بعدُ، فما علينا نحن المشاهدين لهذه الدراما الإلهية ـ إلا الاعتبار بما شاهدناه فنتجنب هذا الموقف وأسبابه بنفورنا منه فنهتدي ونؤمن وقد تحقق مغزى النص القرآني بهدايتنا بسبب تأثير ترتيبه الدرامي المحاكي للجوهر الأخلاقي.

الخاتمة:

خلص البحث إلى نتائج لعل أهمها ما يأتي:

١ـ لم تلقَ ظاهرة التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء عناية كبيرة عند علماء العربية، ولاسيما المتقدمين منهم، إذ تركزت أبحاثهم على التقديم والتأخير الإسنادي اللفظي، فرصدوا أنواعه وحللوا شواهده، وكشفوا عن أسراره ومعانيه الإيحائية. ويبدو أن السبب الرئيس الذي قاد إلى ذلك هو غموض نظرية المحاكاة عند كثير منهم، مما جعلهم يغضّون الطرف عن كثير من شواهده أو الاكتفاء بالقول: أنْ لا مزية أسلوبية لهذا النوع من التقديم والتأخير. لذلك لم يتطور هذا النوع من حيث المصطلح والمنهج، وقد حذا المحدثون حذو السابقين تنظيرا وتطبيقا.

٢ـ اقترح البحث رؤية جديدة في تقسيم التقديم والتأخير بجمع ما تناثر في كتب القدماء تحت منهج واضح ومصطلح محدد وجعلها أقساما ثلاثة هي:

أ ـ التقديم والتأخير الإسنادي: ومنهج تحليله يعتمد على العدول عن القاعدة النحوية أو البنية العميقة الموجودة في الذهن.

ب ـ يخضع التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء: للأسلوبية الدلالية،وهي الجانب الموازي للمتوالية الخطية(من توالي الدوال اللفظية)، وهي الصيغة المجردة(الذهنية) الملازمة للفظ وما ارتبط بعلاقة الدال والمدلول من جهة، والمرجع الخارجي من جهة أخرى. والمنهج المتبع في تحليل ظاهرة التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء، تقتضي وضع قاعدة تكمن فيما موجود في ذهن مستعملي اللغة من ترابط منطقي مفاده أنه سيكون لما يقال معنى على وفق خبراتهم الاعتيادية

بالأشياء المقيدة بالمألوف والمتوقع.

ج - التقديم والتأخير التناصي :ويتولد هذا النوع من علاقة تنشأ بين السياق اللفظي المحاكي لترتيب الأشياء والسياق اللفظي المخالف لهذا الترتيب، على أن لا يفهم السياق بأنه التداعي والترابط اللغوي، أو سياق الحال، بل هو بنية لغوية يقطع نسقها عنصر غير متوقع، ومن التضاد الحاصل من تداخل المتوقع، وغير المتوقع ينشأ المنبه الأسلوبي؛ لذا فكلاهما يحتاج إلى الآخر ليكونا بنية أسلوبية من خلال توالي العناصر غير الموسومة أسلوبيا والموسومة في مجموعات ثنائية تمثل السياق من منظور أسلوبية ريفاتير.

٣- أثمر استعمال التقسيم المقترح في البحث في تحديد المصطلحات تحديدا علميا فضلا عن تحديد القواعد التحليلية في الكشف عن أسرار المعاني الإيحائية العميقة، التي لم يُكشف عنها سابقا على الرغم من رصد القدماء والمحدثين لها، بسبب تداخل المصطلحات وغياب المنهج المتبع.

الهوامش

١- بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، د. علي أبو القاسم عون:٤٢

٢- الكتاب، سيبويه:٦٨/١.

٣- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني:١٠٦

٤- ظ: م.ن:١٠٦-١٠٧

٥- سورة الفاتحة:٥

٦- مفتاح العلوم، السكاكي:٣٣٩

٧- سورة مريم:٤

٨- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني:١٠١

٩- ظ: البرهان في علوم القرآن، الزركشي:١٥٤/٣ وما بعدها

١٠- سورة غافر:١٦

١١- ظ: البرهان في علوم القرآن، الزركشي:١٨١/٣ وما بعدها

١٢- سورة الصافات:٤٧.

١٣- الكشاف، الزمخشري:٧٦/١.

١٤- سورة مريم:٤.

١٥- ظ:الأسلوب الرؤية والتطبيق، د. يوسف أبو العدوس:١٠٥

١٦- لم نعثر على ترجمة التيفاشي في حدود ما اطلعنا عليه من مصادر. ولكن يستدل على اسبقيته على الزركشي من ورود بعض أخباره في (وفيات الأعيان) لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ. ظ:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان:٢٣٧/٣.

١٧- شرح ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري:٣٢٥، وفيه :

غراء في فرعها ليل على قمر على قضيب على دعص النقا الدهس

١٨- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي:٦٠/٤.

١٩- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي:٤٤٤/١

٢٠- ظ: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي:٤١١/١

٢١- سورة غافر:٦٧

٢٢- يؤدي الترتيب والتقديم والتأخير في ترتيب الأشياء وظيفة وصفية في الإبداع الرمزي المسمى بـ(الأدب الوصفي) الذي قال عنه هيجل Hegel: بأنه((الشكل الذي نقدّره نحن الألمان عالي التقدير ونقدّمه على ما

عداه؛ فنحن نحبّ أوصاف الطبيعة والمشاعر السامية التي يحسّ المرء بالحاجة إلى البوح بها لدى مرأى مناظر الطبيعة)). الفن الرمزي الكلاسيكي والرومانسي، هيجل:١٨٣.

ولا نستطيع تفسير تقديرنا للوصف الإبداعي ـ نحن والألمان جميعا ـ، إلا بوصل الواقع الخارجي بما هو متصوّر داخليا في وعي المتكلم، وكذلك هي أوصاف القرآن الكريم فهي موقّعة بدءا بإيقاع نبري وسجعي ومقطّعة بفواصل متشاكلة مرسومة بريشة إلهية متحدّية بالإعجاز، وهذا يعني أنّ أوصافه للأشياء الخارجية تبدو كأنها مقرونة بأوصاف المشاعر والعواطف التي يمكن أن تخالج النفس البشرية لدى المشاهد الموصوفة، لتكون ملائمة لمخاطبة مدركاتنا.

٢٣- التداولية، جورج يول:١٢٩.

٢٤- التناص تعالق نص (دخول بعلاقة) مع نص حدث، من خلال تقنية الامتصاص والهدم للفضاء المتداخل نصيا يحتفظ بحقه بتغيير المعنى، ويمكن التعبير عن ذلك بأنه ترابطات متناظرة Alter-Jon tons ذات طابع خطابي. ظ: علم النص، جوليا كريستيفا:٧٩، تحليل الخطاب الشعري(إستراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح:١٢١.

٢٥- من المصادر التراثية التي عنيت ببحث التشابه والاختلاف هي: مشتبَهَات القرآن العظيم، أو متشابه القرآن، الكسائي، درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، البرهان في توجيه متشابه القرآن، الكرماني، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، ابن الجوزي، ملاك التأويل، الغرناطي، البرهان في علوم القرآن، الزركشي وغيرها.

٢٦- البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان:٤٥٧/١

٢٧- سورة الفاتحة:٢.

٢٨- سورة الجاثية:٣٦.

٢٩- سورة الأعراف:١٢٢، يونس:٧٥، الأنبياء:٤٨، الشعراء:٤٨، الصافات:١١٤، و١٢٠.

٣٠- سورة طه:٧٠

٣١- العنصر الموسوم:هو العنصر الذي يتجلى فيه الفاعل الداخلي المعبر عن رأيه أو وجهة نظره مشيرا إلى تجربة أو حدث يتصل به، بخلاف العنصر غير الموسوم سيميائيا الذي يتصل بوقائع ومعارف موضوعية بعيدة عن القائل وموقفه. ظ: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل:٩٩

٣٢- ظ:الأسلوب الرؤية والتطبيق،د. يوسف أبو العدوس:١٤٥-١٤٦

٣٣- تذهب نظرية المحاكاة(Minesis) بأبسط صورها إلى وجوب أن يكون العمل الإبداعي أقرب شبها إلى الحياة من دون فهمها بأنها علاقة بسيطة تنسخ الواقع كما هو، فالإبداع ليس مجرد تكرار لحقيقة جاهزة، أو

ترديد لواقع قائم من ذي قبل، بل هو اكتشاف لحقيقة جديدة وتعبير عنها بلغة رمزية. ظ:النقد الفني، دراسة جمالية وفلسفية، جيروم ستولينتز:١٥٦ وما بعدها، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، د. زكريا إبراهيم:٣٣٨، المدخل في علم الجمال، هديل بسام:٥٧،

٣٤- ظ:النقد الفني، دراسة جمالية وفلسفية، جيروم ستولينتز:١٦٨، التخييل والمحاكاة في التراث الفلسفي والبلاغي، د. عبد الحميد جيده:٥٧-٥٨

٣٥- نفى فريق من المفسرين وجود التقديم والتأخير في الآية المباركة، إذ إن تقديم إحداهما على الأخرى سواء، ولا فرق بين الاستعمالين، فلا تقديم ولا تأخير في العبادة والاستعانة، ورأى فريق آخر أن طلب المعونة جاء على عبادة مستأنفة لا على عبادة واقعة، فهي من باب حسن طلب المعونة. ظ: جامع البيان، الطبري:٧٠/١، التبيان، الطوسي١/٣٨-٣٩، و٦٤/١، مجمع البيان، الطبرسي:٦٤/١، روح المعاني، الآلوسي:٩١/١.

٣٦- سورة البينة:٥.

٣٧- سورة البقرة:٤٥.

٣٨- سورة طه:١٣٢.

٣٩- الفاتحة:٥.

٤٠- الكشاف، الزمخشري:٢٤/١، ظ: البحر المحيط، ابن حيان:١٤٢/١-١٤٣ ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي:٦٠/١، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود:٢٦/١، روح المعاني، الآلوسي:٩١/١.

٤١- مفاتيح الغيب، الرازي:٢٥٧/١، ظ: البرهان، في علوم القرآن، الزركشي:٦١٣/٣.

٤٢- المثل السائر، ابن الأثير:٣٩/٢.

٤٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي:١٠/١، ظ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي:١٦/١، روح المعاني، الآلوسي:٩١/١.

٤٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود:٢٦/١.

٤٥- م.ن:٢٦/١.

٤٦- ظ: روح المعاني، الآلوسي:٩١/١.

٤٧- الكافي، الكليني:٢٦٨/٣.

٤٨- المقدمة، ابن خلدون:٤٦٨، تراث الإسلام، شاخت وبوزورث:١٠٣/٢.

٤٩- صحيح البخاري، البخاري:١٠٥/٨.

٥٠- ظ: الموسوعة الفلسفية،وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين:١٧٢.

٥١- سورة الحجر:٢٩.

٥٢- سورة آل عمران:١٤٢.

٥٣- سورة النساء:٢٢.

٥٤- سورة النساء:٢٣.

٥٥- ظ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير:٥٠٩/٤، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي:٢٣٢/٢.

٥٦- سورة النساء:٢٢.

٥٧- سورة الإسراء:٣٢.

٥٨- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير:٥١٠/٤، ظ: في ظلال القرآن، سيد قطب:٢٨٦/٤-٢٨٧.

٥٩- سورة النحل:٥-٦.

٦٠- ظ: جامع البيان، الطبري:١٠٧/١٤، مجمع البيان، الطبرسي:١٤٠/٦، مدارك التنزيل، وحقائق التأويل، النسفي:٢٥٠/٤.

٦١- ظ: التناسب البياني في القرآن الكريم، أحمد أبو زيد:٢٠٠.

٦٢- ظ: مفاتيح الغيب، الرازي:٢٢٦/١٩.

٦٣- ظ:النقد الفني، دراسة جمالية وفلسفية، جيروم ستولنتيز:٢٨٨.

٦٤- ظ: الكشاف، الزمخشري:٣٤٤/٣-٣٤٥، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير:٥٠٨/٣.

٦٥- سورة الشعراء:٢١٤.

٦٦- سورة الشعراء:١٠-١١.

٦٧- سورة الشعراء:١٢-١٤.

٦٨- سورة الشعراء:٦٥-٦٦.

٦٩- البنى الأسلوبية في سورة الشعراء، تومان غازي الخفاجي:١٨٨ وما بعدها.

٧٠- سورة الشعراء:٦٣.

٧١- فن الشعر، هيجل:٣٣٤-٣٣٥.

٧٢- منها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ*إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ(...)فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ*قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنْ الظَّالِمِينَ*قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ*قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ*قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ*قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ(...)قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ*قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ*وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الأَخْسَرِينَ ﴾ .سورة الأنبياء:٥١-٧٠.

٧٣- يشير فرنسيس فرجسون،إلى أن أساليب تحقق الفعل يمكن أن تظهر في ثلاثة أقسام هي:

١ـ الحبكة أو القصة: وهي تحقق أول للفعل، لأنها روح المأساة، وهي علتها الصورية.

٢ـ رسم الشخصية: وفيها يظهر التحقق الثاني للفعل بشكل أكثر حدة إذ يظهر ما فيه من فروق فردية.

٣ـ الكلمات والتصورات المعبرة عن تأمل الشخصيات وبوحهم العاطفي التي تصور حياتهم النفسية استجابة للمواقف المتغيرة، إذ تمثل الكلمات أعلى الصور تفردا فهي الأوراق الخضر التي ندركها بأعيننا إدراكا فعليا، وهي علامة على حياة النبات.ظ: فكرة المسرح،فرنسيس فرجسون:٩٩

٧٤- ظ: م.ن:١٥٧.

٧٥- سورة الشعراء:٦٩-٧١.

٧٦- ظ:الموسوعة الفلسفية،وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين:٥١١.

٧٧- سورة الشعراء:٩٠-٩٢.

٧٨- سورة الشعراء:٩٦-١٠٢.

٧٩- فن الشعر، هيجل:٣٣٣.

٨٠- سورة البقرة:٤٩.

٨١- سورة الأحزاب:٥٩.

٨٢- البرهان في علوم القرآن، الزركشي:١٥٤/٣.

٨٣- ظ: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي:٣٢٩.

٨٤- سورة البقرة:٤٤.

٨٥- ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي الحسن السكري:٤٠٤.

٨٦- سورة عبس:٣٣-٣٧.

٨٧- ظ: الكشاف، الزمخشري:٢٢٠/٤، مفاتيح الغيب، الرازي:٦٣/٣١-٦٤.

٨٨- ظ:أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي:٤٥٤/٥، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير:٥٠٥/٤.

٨٩- ظ: مفاتيح الغيب، الرازي:٦٣/٣١، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي:٣١٨/٤.

٩٠- الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي:٤٣٦/١٩.

٩١- الكشاف، الزمخشري:٧٠٦/٤.

٩٢- النقد الفني، دراسة جمالية وفلسفية، جيروم ستولنتيز:٣٢١.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي(ت٩٨٢هـ)، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١،(١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٣- الأسلوب الرؤية والتطبيق، د. يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط١(١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م).

٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،ط١(١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت٧٩١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١(١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٦- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط٢(١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٧- البرهان في توجيه متشابه القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني(ت٥٠٥هـ)، تحقيق ودراسة وتعليق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية بيروت،لبنان، ط١(١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٨- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين أبو عبد الله محمد الزركشي(ت٧٩٤هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٩- بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، د. علي أبو القاسم عون، دار المدار الإسلامي، بيروت،لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

١٠- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة، الكويت،(صفر ١٤١٣هـ/آب ١٩٩٢م).

١١- البنى الأسلوبية في سورة الشعراء، د. تومان غازي الخفاجي، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٢م.

١٢- البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، عالم الكتب،القاهرة، ط٢،(١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

١٣- التبيان، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف(١٣٨٣هـ/١٩٦٣م).

١٤- تحليل الخطاب الشعري(إستراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي،ط٣، ١٩٩٢م.

١٥- التخييل والمحاكاة في الفكر الفلسفي والبلاغي، د. عبد الحميد جيده، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، لبنان، ط١، ١٩٨٠م.

١٦- التداولية، جورج يول، ترجمة د. قصي العتابي، دار الزمان، الرباط،ط١(١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

١٧- تراث الإسلام، شاخت وبوزورث، ترجمة د.

حسين مؤنس، وإحسان صدقي العمد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط٢، ١٩٨٨م.
١٨- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، راجعه وخرج أحاديثه أيمن محمد نصر الدين، والدكتور عبد الرحمن الهاشمي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
١٩- التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٦م.
٢٠- التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ١٩٩٢م.
٢١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢(١٣٧٣هـ/١٩٥٤م).
٢٢- علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٩١م.
٢٣- خزانة الأدب وغاية الأرب، أبو بكر علي بن عبد، المعروف بابن حجة الحموي(ت٨٣٧هـ)، دراسة وتحقيق د. كوكب دياب، دار صادر، بيروت،لبنان،ط١(١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).
٢٤- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي(ت٤٢٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط١(١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
٢٥- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)،قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط٣(١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
٢٦- ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي الحسن السكري(ت٢٩٠هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت،لبنان،(١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
٢٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمد الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)، تحقيق محمد أحمد أمين، وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٢٨- شرح ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري(ت٢٠٨هـ)، عني بتحقيقه والتعليق عليه د. سامي الدهان،دار المعارف بمصر، ط٢، (د.ت).
٢٩- فكرة المسرح،فرنسيس فرجسون، ترجمة جلال العشري، مراجعة دريني خشبة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤م.
٣٠- فلسفة الفن في الفكر المعاصر، د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، القاهرة،١٩٦٦م.
٣١- الفن الرمزي،الكلاسيكي،الرومانسي،هيجل،ت رجمة:جورج طرابيشي،دار الطليعة،بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
٣٢- فن الشعر، هيجل، ترجمة جورج طرابيشي،

دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،لبنان،ط٢، ١٩٨١م.
٣٣- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، أبو الفرج جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي(ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
٣٤- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت - القاهرة ،الطبعة الشرعية(٢١٤) ، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
٣٥- الكافي، الكليني، تحقيق علي أكبر غفاري(ت٣٢٩هـ)، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٧هـ.
٣٦- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (ت١٨٠هـ)، علق عليه ووضع حواشيه د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٣٧- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،محمد علي التهانوي(ت. ق١٢هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة د. توفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية، د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية، د. عبد جورج زيناتي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
٣٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل،لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت٥٣٨هـ)، حققها على نسخة خطية:عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي،مؤسسة التاريخ العربي،بيروت،لبنان،(١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
٣٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ضياء الدين بن الأثير(ت٦٣٨هـ)،قدمه وحققه وعلق عليه د.أحمد الحوفي،د.بدوي طبانة،مكتبة نهضة مصر،ط١)٣٨٠هـ/١٩٦٠م).
٤٠- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(من أعلام ق٦هـ)، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الاختصاصيين، قدم له محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،ط١، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
٤١- مدارك التنزيل وحقائق التأويل،عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي(ت٧١٠هـ)، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط١(١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
٤٢- المدخل في علم الجمال، هديل بسام، عمان، الأردن، ١٩٩٣م.
٤٣- مشتبَهَات القرآن العظيم، أو متشابه القرآن، أبو الحسن علي الكسائي(ت١٨٢هـ، أو ١٨٣) تحقيق أحمد عدنان صالح الحمداني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة،ط١(١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
٤٤- مفاتيح الغيب ،محمد بن فخر الدين بن ضياء الدين الرازي(ت٦٠٤هـ)، دار الفكر،بيروت، لبنان،ط٣،(١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
٤٥- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن محمد السكاكي(ت٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

٤٦- المقدمة، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت٨٠٨هـ)، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان،(د.ت).
٤٧- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي(ت٧٠٨هـ)، وضع حواشيه عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط١(١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
٤٨- الموسوعة الفلسفية،وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين،بإشراف:م. روزنتال، ودي. يودين، ترجمة: سمير كرم،دار الطليعة، بيروت ،لبنان ،ط٥، ١٩٨٠م.
٤٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥هـ)، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط٢(١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٥٠- النقد الفني، دراسة جمالية وفلسفية، جيروم ستولينتز، ترجمة د. فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م.
٥١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان(ت٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،لبنان،(د.ت).

نصر من الله وفتح قريب
قال تعالى
١٤٣١